

أثر دلالة المكان في وعي الشاعر العربي في العصر الجاهلي
The pragmatic impact of 'place' on the awareness of the Arab poet
in the pre-Islamic era

معروف راجي أوويمي Maruf Raji Owoyemi
مدير منظمة المعروف للخدمات الإسلامية و التنمية البشرية، بماليزيا
almahruf200@gmail.com

رحمة بنت أحمد حاج عثمان Rahmah Binti Ahmad H. Osman
International Islamic University Malaysia
rahmahao@iium.edu.my

محمد أنور بن أحمد Muhammad Anwar Bin Ahmad
International Islamic University Malaysia
muhanwara@gmail.com

ملخص البحث

Article Progress

Received: 30 Dec 2023
Revised : 21 Jan 2024
Accepted: 17 Feb 2024

* Corresponding
Authors:

Maruf Raji Owoyemi

E-mail:
almahruf200@gmail.c
om

يمثل "المكان" ميزة بارزة من ميزات الشعر العربي الجاهلي، وكان له حضور بارز في إنتاجاتهم الشعرية، ولا يكاد يوجد شاعرا من شعراء العصر الجاهلي إلا وقد وقف على أطلال حبيبته أو يعشق إلى مرابعها وديارها التي عفت ويبيكي إلى آثارها التي أكل عليها الدهر وشرب. وهو لا يقل أهمية في الشعر العربي، سواء كان المقصود به المعنى العام أو الخاص. وقد وظفه الشعراء الجاهليون توظيفا يشكل عنصرا من عناصر القصيدة العربية وتضفي عليها طابع وجدانية نفسية ترتسم إليها الذكريات. ويهدف هذا البحث إلى دراسة دلالة المكان في الشعر الجاهلي تحديدا في المعلقة الشعرية من خلال ربط المكان بنصوص المعلقة الشعرية التي تناولت الأماكن في العصر الجاهلي. وقد يظن بعض الناس أن المكان - بمعناه العام والخاص - يرمز إلى مجرد سكن أو موقع جغرافي غير أنه يرمز إلى معانٍ أعمق وبعد خيالي نفسي ووجداني حيث يفيضه علي الإنسان من روح المواطنة والكينونة وهو من أهم المظاهر الجمالية، وله ارتباط وثيق بالوجود والكينونة، والهوية الإنسانية، مما يستدعي منا الاهتمام به. وكان لهذه الدراسة أهمية بالغة حيث أنه تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة قضايا المكان ووصفه ودلالته في الشعر

العربي الجاهلي. ومن أهم نتائج الدراسة أن هناك علاقة تفاعلية بين المكان وساكنه حيث تجعل المكان واضحاً في تشكيل النص، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي، وكما نلاحظ أن رحابة المكان جغرافياً لا تعني بالضرورة اتساعه في الشعر أو في نفسية شيوخها خاصة.

الكلمات المفتاحية: المكان، المعلقات الشعرية، وعي الشاعر، العصر الجاهلي .

ABSTRACT

“Place” represents a prominent feature of pre-Islamic Arab poetry, and it has presence in their poetic productions. Hardly would you find a poet of the pre-Islamic era without standing on the ruins of his beloved, craving for the depastures of her ruined homes, and crying for his beloved that has been consumed by time. “Place” is no less important in Arabic poetry, whether within the contextual or literal meaning. The pre-Islamic poets used it in a way that constitutes an element of the Arabic poem and gives it emotional and psychological stamps that bring back memories. This research, therefore, aims to study the significance of place in pre-Islamic poetry, specifically in poetic appreciation, by linking place to the texts of poetic appreciation that dealt with places in the pre-Islamic era. Some people may think that “place” - in its general and specific sense - symbolizes mere habitation or a geographical location, but it symbolizes deeper meanings and an imaginative, psychological and emotional dimension, as it overflows upon a person with the spirit of citizenship and being. It is one of the most important aesthetic manifestations, and has a close connection to existence, being, and human identity. Which requires us to pay attention to it. This study was of great importance as it relied on the descriptive and analytical approach to address issues of place, its description, and its significance in pre-Islamic Arabic poetry. The main finding of the study is that there is an interactive relationship between the “place” and its inhabitant, which makes the place clear in the formation of the text, and this is what we find in pre-Islamic poetry. As we note, the geographical spaciousness of the place does not necessarily mean its breadth in poetry or in the psychology of the poet in particular.

Keywords: place, the classical poems, the poet’s awareness, the pre-Islamic era.

المقدمة

للمكان أهمية في حياة الإنسان، فقد كان "أسبق في وجوده من الوجود الإنساني، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وذلّلها، وهبها كما هباً الكون كله، بوصفه المكان الأكبر لحياة الإنسان، وعلي الأرض وداخل هذا الكون كان ادراك الإنسان لـ (الزمان) و(المكان)، وإن اختلفت طريقة ادراكه لكل منهما"، (أبو الهيف، 2005م) لأن "ادراك الإنسان للزمان ادراك غير مباشر، فهو يتحقق من خلال فعل الإنسان وعلاقته بالأشياء، في حين أن ادراك الإنسان للمكان ادراك حسي مباشر، وهو يستمر مع الإنسان طوال سني عمره، مما يؤكد حميمية العلاقة التي تربط بين الإنسان والمكان مباشرتها وملازمتها لحركة الإنسان". (أبو الهيف، 2005م)

ومما لا شك فيه أن للمكان حضوراً قوياً وفاعلاً في النفس الإنسانية، إذ يرتبط بوعي الإنسان منذ نعومة أظفاره، فيخترزن في ذاكرته أشياء كثيرة من العواطف والذكريات الإيجابية أو السلبية، كما يختزن في مخيلته العديد من جزئيات هذا المكان صغيرة كانت أو كبيرة، وتظل محبوسة في ذاكرته حتى يجد لها المتنفس ولو بعد حين، فالمكان ليس مجرد مسحه، او قطعة أرض أو حيزاً جغرافياً لا يعني شيئاً لهذا الإنسان، بل هو جزء لا يتجزأ من حياته، لذلك نجده يشكل حضوراً قوياً عند كثير من الشعراء، فتراهم يترغنون بأسماء البقاع والبلدان والأماكن التي كان لها وقع وتأثير خاص في نفوسهم.

لقد كان المكان هو الموجه لحياة الجاهلي ووجوده، مما جعله يتعامل مع مظاهره تعاملًا خاصاً ومنفرداً في جميع أشكاله. من هنا رأينا أن قضية المكان داخل النص الشعري الجاهلي جدية بالاهتمام والدراسة، لنقف على هذا الحضور للمعلقات الشعرية بعلاقاته وأخلاقياته، والالتفات إلى عمق هذه العلاقات والأخلاقيات التي تنشأ بين المكان وبين مختلف المعاني، وحضور ذلك كله كفضاء داخل النص الشعري.

وإذا كان الشاعر متعلقاً بالمكان الذي عاش وتربى فيه فنجد القصيدة قد جاءت بالطلل الذي كان في العصر الجاهلي وهو أساس القصيدة.

ومن هنا نرى اختلاف الأمكنة منها: المكان الأليف، المتوحش، المجازي، الهندسي، المفترض، الموضوعي، والمكان بوصفه تجربة معيشة، وهو مكان عاشه المؤلف، وبعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه الخيال فأثر في أدبه.

ويضم المكان الأليف والمتوحش الأماكن الجامدة من وصف الشاعر للجبال والوديان والأنهار والبحار والصحراء وكثير من المظاهر الطبيعية، التي وصفها الشاعر العربي عامة والمغربي خاصة، فالمكان في الواقع هو الإنسان القائم علي بلده وأصله.

وقد استمر ذلك عند شعرائنا الجاهليين، وقد أحس الواصفون للأطلال نثراً وشعراً وعادوا عيل المكان بأوصاف الإنس والاجتماع.

وعندما يكون اهتمام الشعراء بالمكان والأطلال بالغاً، فهذا دليل علي أهمية العشق والحب لديهم، ومن هنا وجدنا الشاعر العربي القديم قد أسرف في وصف المكان لا لشيء إلا لأجل حبيبته، تلك المرأة التي أخذت حيزاً كبيراً من تفكيره.

فالأماكن شاخصة للحس لكنها تنقل المتلقي من الحقيقة الواقعية لها إلي الحقيقة المختزنة في نفس الشاعر، لتتجلي لنا حقيقة المكان في بعده التاريخي والتي تكمن كلما ازداد الالتفات نحو الماضي والتعامل مع الأرض والأماكن السابقة التي يستحضر الشاعر من خلالها عهد مضي أو تكون ذات دلالة سياسية نابعة، لرفض الشاعر دار الهوان بالهروب من محل الإقامة إلي الملاذ الأمن لجور السلطان، أو رفض المكان، أو الابتعاد النفسي والانسلاخ بعد الانسجام والانصياع.

أما ادراك المكان - المجازي - المفترض للزمان أو المكان الخيالي بأطره التجريدية فهو البعد الأخير لدلالة المكان الفنية والذي ندرك به المعني الحقيقي له أو الحسي من خلال معاني الألفاظ الدالة عليه في الذهن أو من سياق النص الذي يتحدد بمفاهيم فلسفية منفصلة عن الواقع قد تكون معبرة عن حلم شخصي رافض للمكان المجرد من خلال مفهوم الاغتراب عن العالم أو العصر متمثلاً لنا في أبيات المتنبي أو الشريف الرضي، ودعبل الخزاعي، والسيد الحميري، وكذلك العديد من شعراء عصرنا الحديث ممن رفض الواقع المؤلم وصور له صورة

متناقضة تلتقي في أفق التأمل بجمهورية أفلاطون وحلم المدينة الفاضلة، أمثال محمد رضا الشيبلي، والجواهري وحيدر الحلي وبلند الحيدري، ومصطفى جمال الدين، وغيرهم كثير. (وليس من شك في أن أي معني يمكن أن يكشفه الإنسان في الطبيعة فإن الطبيعة ذاتها لا تعبر عنه كما يعبر الفنان عن معناه في فنه، وهذا يكفي لبيان أن الجمال في الطبيعة يختلف من حيث النوع عن الجمال المعبر في الفن) علي اعتبار أن الصور المعمولة خير من الصور الطبيعية جمالا، فاستحضار النماذج مع المملكة التخيلية المتميزة والصنعة ترتقي بالصور إلى عالم المثل، وختاماً فدلالة المكان الشعرية هي الصورة الفنية التي تضيف لنا الخصوصية والأصالة علي الأبداع الفني ليس للنص الشعري فحسب بل لجميع الأعمال الأدبية.

المكان مفهومه وأهميته:

تعريف المكان لغة:

يجدر بنا الوقوف علي معني المكان فنياً أن نوضح حدة اللغوي ورسمه، فقد جاء في لسان العرب: "المكان": الموضع، والجمع أمكنة وأماكن، توهوا الميم أصلا حتى قالوا تمكن في المكان، وهذا كما قالوا في تكسير المسيل: أمسلة، وقيل: الميم في المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون، وهذا يقويه ما ذكرناه من تكسيه علي أفعله، وقد حكي سيبويه في جمعه امكن، وهذا زائد في الدلالة علي أن وزن الكلمة فعال دون مفعول. (الأزدي، 1345هـ)

فأن قلت فإن فعالا لا يكسر علي أفعال إلا أن يكون مؤنثا كأتان وأتن. الليث: المكان اشتقاقه من كان يكون، ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية الجسم وينفذ فيه أبعاده". (الصعب، 2010)

ثم يقسم المكان إلى قسمين:

مكان مبهم، ومكان معين، فالمكان المبهم هو: "عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالحلف، فإن تسمية ذلك المكان بالحلف إنما هو بسبب كون الحلف في جهة، وهو غير داخل في مسماه.

والمكان المعين: "هو عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار، فإن تسميتها بسبب الحائط، والسقف وغيرها، وكلها داخله في مسماه". وهكذا نجد أن المفهوم اللغوي للمكان يكاد يكون واحداً، فـ"العرف اللغوي يري أن للمكان حداً واحداً، وهو (الحاوي)، أو (الكائن)، سواء أكان مدركاً بالحواس أم بالتصور الذهني.

ويقول (غاستون باشلر): "إن المكان هو الصورة الفنية للمكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، وأنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا".

من هنا نجد أن (باشلر) يعرف لنا المكان بصفة عامة، بأنه المكان الذي ولدنا فيه، وتربي فيه الفرد منا. فالمؤلف ينطلق من النقطة الأساسية وهي أن البيت القديم هو بيت الطفولة، ومكان الألفة، ومركز تكيف الخيال، فالبيت الأسري يشكل للفرد أساس الحماية والقدرة علي التماسك بين الأفراد.

المكان فنيا:

يرى بعضهم أن المكان: سلسلة من الأنماط الشيعية المتوزعة التي تحتل حيزاً، ولها أبعادها وخصائصها المادية، ففهم المكان قائم أولاً علي الخبرة والتجربة، أن نفهم المكان يعني أن نجربه.

وبذلك يصبح المكان إطاراً للأشياء، ينطوي عليها ويبرزها، ويصبح التعبير مكانياً: هو تعبير عن خصائص الموضوعات المادية المحيطة بنا التي سرعان ما تتكون صلاتنا بها.

وإذا كانت كلمة "مكان" كما يقول لالاند: "عندما تستعمل دون أي تحديد آخر إنما تنطبق علي المجال الهندسي الإقليدي الذي يخضع للقياس الموضوعي، فإن المكان في الشعر الجاهلي لا يفهم من خلال وصفه المادي المجرد فحسب، لأن الأديب - وبخاصة الروائي - يتعامل معه بخياله الواسع، وأحاسيسه، ورؤيته المكانية الخاصة". ويمثل المكان مكوناً محورياً في بنية المعلقة، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين".

وتتأسس دلالة المكان علي اللغة، فهو: "مكان لغوي تخيلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات وصور". "وتعامل الشاعر مع المكان لا يتم بالنظر إليه كأشكال، وحجوم، وفراغات، ومناظر، وأشياء، وألوان مختلفة، وإنما يتم باعتبار كل هذا مجرد "رموز لغوية" حاملة للكثير من الدلالات الجمالية، والوظائف الفنية، رغم ارتباط اللغة - أصلاً - بأصولها الحسية بفعل ما تتوفر عليه من أبعاد فيزيقية، ذلك أن المعلقة الشعرية تخلق "عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة".

"ويكاد يتفق الباحثون في مجال النقد الأدبي علي أن المكان في الشعر الجاهلي هو مكان قائم بذاته ينهض علي مقومات وخصائص جعلته يمثل العمود الفقري الذي تربط به أجزاء المعلقة الشعرية ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث بشكل أعمق وأكثر أثراً.

ولو تتبعنا الألفاظ الدالة علي المكان في القصيدة العربية، لوجدنا العديد من شعر الشعراء وحديثهم عن المكان وارداً في مقدمه القصيدة، والمكان هو مظهر عام عند شعراء المعلقات الشعرية، وطقس لا يغيب عنهم، ومثل هذا يعد من الظواهر التي تستحق أن يوقف عندها، فقد برز المكان في الشعر الجاهلي في المعلقات حين أشار شعراؤها إلي بعض الأماكن ذات العلاقة القوية بهم - فإذا أوردنا شعر بعضهم، فكان من أهمهم امرؤ القيس، فقد كانت

طبيعة الحياة وظروفها التي عاشها امرؤ القيس مصدراً مهماً من مصادر تكرار التجربة وإعادة الحياة فيها، وذلك ظاهر في تجربة المكان وهو الشاعر.

وعندما نبحت عن نموذج من العطاء الشعري الجاهلي نراقب فيه خصوصية استخدام الألفاظ الدالة علي المكان نجده في قول امري القيس في معلقته:

قفأ نبك من ذكرى حبيب بسقط اللوي بين الدخول
فتوضح فالمقراة لم يعف لما نسجتها من جنوب

(سقط اللوي، وحومل، توضح، المقراة، الدخول).

وهي ترتبط بحالة تذكر يعيشها الشاعر، والمكان هنا أصبح معزولاً عن شرطه الإنساني، ذلك أنه لم يعد سوي بقايا أثار لم تدرس بعد بشكل كلي، لكن أهميتها تأتي بما تثيره لدي الشاعر، ثم لدي المتلقي من ذكرى إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدريج، لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء".

لقد تشرب امرؤ القيس بالفاجعة في وقوفه أمام المكان المتهدم، فالتجربة المكانية أساسية وجوهرية في معلقة امرئ القيس، وفي مقدمات الطلل الجاهلي، فقد توحدت بعض التجارب وشكلت إطاراً للقصائد المرتبطة بالمكان والتجذر فيه.

والبيت الأول من هذه المعلقة لا يتحدث عن وصول فعلي إلي المكان الموصوف بأنه (سقط اللوي)، أنه بالأحري دعوة إلي الوقوف كما لو كان من علي مسافة وإلي التذكر، وإلي البكاء علي ما كان ذات يوم منزل المحبوبة.

وبما أن المكان هو الحيز المادي الذي تجري به الأحداث والمنعكسات الوجودية فمن الطبيعي أن يحظي المكان بأهمية قصوي في الكشف النصي، وهذا يعني أن المكان في المعلقات الشعرية عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكل واحداً من مفاتيح المعلقة الشعرية الذي يساعد علي كشف مدلولاتها وأسرارها، مما جعله في رؤية النقاد والمبدعين زاوية النص باعتباره المفتاح الأهم للولوج إلي فضاء النص والوقوف علي حيز المعاني التي يتضمنها النص الشعري".

ومن هذا المنطلق يمكن الكشف عن خصوصية المكان بوصفه مكنن الدهشة الجمالية في التحفيز النصي، وهو المفتاح للكشف عن كثير من الرؤي والمضمرات النصية، خاصة عندما يكون مرتكز الصورة ونقطة تحولاتها الدلالية ونقطة التفجر الرؤيوي في الدلالات ومنعكساتها عيل المسار النصي للمعلقة الشعرية.

وما من شك في أن اهتمام الباحثين بالمكان في المعلقات الشعرية لم يأت عن عبث وإنما جاء عن وعي وإدراك، نظراً إلى ما يحتله المكان من علائق روحية ترتبط بالبواطن الشعورية العميقة في النفس البشرية، فكيف بالذات المبدعة التي تملك حساسيتها المرفهة في الاحساس بالمكان، وترجمة هذا الاحساس شعرياً، ولعل أهم ما يميز المكان- أو توظيف المكان شعرياً- أنه يقع بين زاويتين هما: زاوية التشكيل الشعري، وزاوية التأويل، وضمن الزاوية الأولى تتشكل الرؤية المكانية وفقاً لرؤية شعرية غالباً ما يتحكم فيها الخيال ليمنحها بعداً تأثيرياً جمالياً، وضمن الزاوية الثانية يكون لأحاسيس المتلقي ورؤيته الذوقية وأسس النقدية أثر في صياغة تجربة الشاعر، وبهذا يكون المكان المدمج في بنية المعلقة منفتحاً علي عالم التخيل عند المتلقي.

وهذا يعني أن المكان الشعري مكان فني أو مجازي، وليس مكاناً فيزيائياً أو جغرافياً فحسب.

والمكان لا يكتسب شعريته إلا من خلال تفعيله للرؤية الشعرية والحدث أو الموقف الشعري، فكم من الأماكن لا قيمة لها شعرياً في الحقل الفني أو الجمالي، لأنها مجرد صور فوتوغرافية توصيفية جامدة لا دور لها في تكتيف الرؤية والحدث الشعري أو تفعيل الفضاء الجمالي للقصيدة، ووفق هذا التصور، ليست كل الأماكن شعرية، وليست كل الأماكن لا شعرية، فالمكان الشعري هو وليد الحدث والموقف الشعريين، وبمقدار تفعيل الأماكن للرؤي والأحداث والأماكن بمقدار ما تزداد شعريتها، وتنامي كثافتها، وفاعليتها التعبيرية، وقدرتها التأثيرية.

وقد عرف المكان أيضا علي: أنه وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني في نظرية الأدب، وعدت أحدي الوحدات التقليدية الثلاث، ولطالما كانت مثار جدل في تحقق العمل الأدبي والفني في المسرح بالدرجة الأولى، ولم يتجاوزها منظرو الأدب في العصر الحديث، بل صدرت إلي ركيزة من ركائز الرؤية وجمالياتها في النظرية الأدبية.

المكان وعلاقته بالشعر:

"العلائق التي تربط المكان بالمعلقات الشعرية كثيرة، فالشعر العربي عموماً -والقديم منه خاصة- ازدهر بفعل عامل المكان، وأبرز تلك العلائق ذلك البناء المتقارب في الشكل والمحتوي بين لاييت الشعري والبيت من الأبنية، فالتسمية الموحدة دليل تشابه، كما أن قيام بيت الشعر علي دعائم وأساسات إذا اختلت أنهار البيت وزالت عنه صفة الشاعرية يشبه بتلك القواعد والأركان التي يتكون منها البيت السكني، وينهار إذا تداعت". (الصعب، 2021)

ويعد أول من انتبه إلي تلك العلاقة الخاصة الناقد ابن رشيق في مقولته: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية، قراره الطبع وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعني، ولا خير في بيت غير مسكون. وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية". (الجرجاني، 1954)

"وذهب إلي مثل هذا القول بعض الباحثين المعاصرين من حيث إن "العلاقة لا يمكن أن تكون شكلية فقط، وإنما هناك اشتراك في الشكل والمضمون، وعليه فإن المسألة ليست شكلية كما يتبادر إلي بعض الأذهان ولكنها نابعة من عمق وجدان العربي، وهي تجسد مكانة الشعر عند العربي، تلك التي توازي عنده المكان الذي يجد فيه الراحة والاستقرار والحماية". (الجرجاني، 1982)

"كما يذهب حازم القرطاجني إلى تأكيد وتأصيل المسألة وتفسيرها حيث يرى أن قصد محاكاة بيوت الشعر - بكسر الشين - لبيوت الشعر - بالفتح - إنما كانت، لأن أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد، والاشتياق، والحنين علي المنازل المألوفة، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها، وكأن الشاعر يريد أن يبقى ذكراً أو يصوغ مقالاً يخيل فيه حال أحبائه... الخ. (التبريزي، 1985)

ومن الباحثين من يرى أن تطور البيت الشعري في القصيدة الحديثة أيضاً واكبه تطور آخر وفلسفة البنائيين الجدد، ففي داخل بنية القصيدة الكلية جرت تحولات أخرى علي الإيقاع، والزمن، وبناء الصورة، وحجم البيت الشعري نفسه.

كما حملت القصيدة الحديثة علوماً جديدة وتيارات فكرية وفلسفية مما طبع أحداثها بمركبات مغامرة جديدة، كذلك شأن البيت من الأبنية فهو الآخر قد حمل إضافات العصر وتطوراته، وأفكار البنائيين الجدد واجتهاداتهم الفلسفية والفكرية.

وهذا يؤكد القيمة الفنية لنص ابن رشيق في فكرة العلاقة بين وحدة القصيدة والوحدة العضوية للمكان: "إلا أن المضمّر في نص ابن رشيق لم يفقد بعد، وقد يساعدنا علي تأكيد الفكرة العامة للعلاقة بين وحدة القصيدة، والوحدة العضوية للمكان المعبر عنه. (العميري، 2006م).

ونؤكد علي أن الربط بين الشاعرية والمكان لا يحتاج إلى مزيد من الأدلة والبراهين، وهي من القوة والوضوح بما يجعلنا نكشف عن علائق أخرى تنأى عن الشكل لتمس جوانب نفسية واجتماعية تربط بين بيت الشعر وبيت السكن، فنرى تلك الراحة النفسية التي يشعر بها الشاعر وهو يرتب الكلمات والأفكار في حدود بيته الشعري شبيهة بتلك الطمأنينة التي يجدها ساكن بيت السكني وهو يرتب إثاته ومقتنياته داخل عالمه الصغير.

فتاريخ المكان في الشعر تاريخ عريق، وهو تاريخ متصل، تتناقله الأجيال وتتمثل وتعيد صياغته علي نحو من استلهاهم التراث المتجدد في روح المجتمع، فقد أصبح الشعر الذي يتعلق بالمكان فكراً للمجتمع يجري في وجدان الأمة جريانه علي الألسنة.

دلالة المكان وأثره في وعي الشاعر العربي القديم:

يعد المكان هو البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشاعر الجاهلي، فقد انفعّل الشاعر الجاهلي مع الأرض بما فيها، ووجد أن المكان قد سيطر عليه سيطرة تامة، فلم يكن المكان سوي وضع بيئي حتمي فرض علي الشاعر وجعله يوجه حياته تجاهه، وأنما تعامل مع المكان ومظاهر الطبيعة تعاملأ خاصأ ومنفردأ في جميع أشكالها وأنواعها، فلحظة الوقوف علي المكان الطلل عند الشعراء مدعاة للتأمل، فالمكان موضع يقرب الناس ويجمعهم، أي مكان إقامة وحلول، صالحأ للحياة لكنه أصبح طلالأ متهدماً.

"وتكاد اللحظة الطللية في القصيدة الجاهلية أن تكون من أهم العناصر التي تتكون منهما القصيدة، لأنها تكشف عن علاقة قوية بين الإنسان والمكان، ولكن ليس المكان الذي كان، وإنما المكان في حالته الراهنة وبما طرأ عليه من تحول وخراب". (القرطاجني، 1994م).

فالسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يخاطب ويبيكي الشاعر الطلل "المكان" هذا الخطاب وهذا البكاء كله؟

إن مخاطبة الطلل تكشف عن وعي الشاعر العميق بالمكان وإحساسه به، وقد تكررت هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي حتى شكلت ملمحأ أسلوبياً وذلك خلال مخاطبة الطلل بالنداء الذي يكون للعنصر الإنساني في العادة، وقد حاول النقاد قديماً وحديثاً الإجابة عن هذا السؤال:

فقال بعضهم: "إن الشاعر في وقوفه علي طلل المحبوبة إنما يتذكر الأيام الخوالي لاتي كانت له معها، أما الآن وقد تفرقا فيشعر بالشوق والحنين إليها، ومادام اللقاء غير ممكن بينهما فإنه يبكي حرقه وشوقاً وألماً". (الفيومى، 2007م).

"كما أن هناك اعترافاً عند بعض الشعراء بأن الأطلال لا يمكن أن تفهم وتذكر، ولذلك لجؤوا إلي وصفها بالخرس - الصمم - مثل قول زهير بن أبي سلمى:

لا الدار غيرها بعد الأنين * بالدار لو كلمة ذا حاجة (العميري، 2006م).

وقد جاءت مخاطبة الشعراء للأشياء، لتعكس العلاقة القائمة بين الشاعر والمخاطب بغض النظر عن كينونة هذه العلاقة وماهيتها، ويبدو أن العلاقة بين الشاعر والأشياء التي خاطبها علاقة تضاد في الغالب، فهو يرفض أن تكون الأطلال صامته فيتوسل لها، والنفس لا ترحم فيطلب منها أن تصبر والقلب جامع فيطلب منه الشاعر أن يتحمل، فالموت شئ كرهه، والليل طويل مثقل بالهموم والميت يوقظ في النفس مشاعر الأسي، فالشاعر يعي أن هناك علاقة تربطه بالأشياء، ولذلك فإن الشاعر الجاهلي لم يكن يري الأشياء جامدة علي الحقيقة وإنما كان يري أنها نايضة بالحياة قادرة علي الحديث أحياناً، فحاورها وعكس مشاعره من خلال هذا الحوار.

كما أن هناك قسم آخر من الشعراء يخاطب الطلل وكأنه كائن حي يعي ويدرك، ويضفي علي الديار هالات من القداسة، ويحيها، ويتمني لها الحياة كقول عنتر:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة

(عابد، 1997م).

تقترن مخاطبة الطلل بإيقاظ الأسي واللوعة في نفسية الشاعر، وتأتي المخاطبة بأنها إعلان للوجد والألم اللذين يسيطران علي الشاعر، إن إحساس الشاعر بالمكان جعله يفطن إلي قيمة هذا المكان، فمخاطبة الطلل لا تخرج عن إحساس الشاعر العميق بالمكان، لأن

الطلل يصبح رمزاً للتهدم والزوال، وهذا يعني أن الشاعر مضطر إلى أن يعيش لحظة الصراع بين ما يريد وبين الواقع الحقيقي، فهو يريد أن يظل المكان سليماً عامراً بالحياة، لكن الواقع يقول غير ذلك، فالشاعر يقيم بينه وبين الطلل علاقة وثيقة، فهو يتوسل إليه، لكي يتحدث ويخبره عن ارتحال القوم، والشاعر لم يلجأ إلى ذلك إلا ليرز أن المكان جزء لا يتجزأ من حياته ووجوده، فالطلل تجسيد لحنين الشاعر إلى الماضي بما كان يحمله هذا الماضي من مباحج الحياة، وبكاء الشاعر للطلل هو بكاء لذلك الماضي الذي أصبح امتلاكه أمراً مستحيلاً.

وقد كان الشعراء يحيون الأطلال بتحية أهل الجاهلية وفي هذا رفع من شأن المكان ومنحه صفات إنسانية عميقة الدلالات والأبعاد، فكانوا "يقولون في تحيتهم في الجاهلية: أنعم صباحاً، وأنعموا صباحاً، فيأتون بلغظ أنعموا من النعمة- بكسر النون- وهي طيب العيش والحياة، ويصفونها يقولون (صباحاً)، لأن الصباح أول النهار". (عبد المسلم، 2002م).

ومن أبرز الباحثين المحدثين الذين تناولوا دراسة المكان والمقدمة الطللية في الشعر القديم: الدكتور شوقي ضيف الذي ينظر إلى المقدمة الطللية علي أنها موطن لذكريات الشاعر الجاهلي، فالشاعر الجاهلي يحن إليها حنيناً قوياً، لأن الحنين إلى المكان فطرة في النفس الإنسانية، وبكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية ذاتية بل لحظة حزينة أملاها علي الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكان.

وينظر الدكتور يحيى الجبوري إلى المقدمة الطللية من حيث إنها ديار ذكريات الشاعر، فهي تثير في نفسه ذلك الحنين والشوق إليها، ويوافقه في هذا الرأي مجموعة كبيرة من الباحثين منهم د. صلاح عيد، ود. جريدي الثبيتي...، وغيرهما.

إن اهتمام الشعراء بذكر الأماكن في قصائدهم لقصد استعادة الذكريات المرتبطة بها، كما أن هذه الأماكن تشارك الشعراء في الإحساس ببعد محبوباتهم عنهم، فهم يتعاملون معها

وكأنها صديق قريب وفي، إن الشاعر الجاهلي يبدي ودا وصداقة غريبة تجاه الطبيعة، تصل إلى أنسنه لهذه الطبيعة والعبور بها إلى عالمه الداخلي الإنساني الرحب في الوقت نفسه.

والطفل يكتسب حياته الجديدة الأبدية من ساكنيه الجدد، ولذلك فإن الشاعر وجد نفسه غريباً في موقف يدعو إلى البكاء، وأحياناً إيل التحية والسؤال، لكن سرعان ما يصبح الطفل المكان ملهماً خلافاً قادراً علي استنطاق الشاعر". (ضيف، 1997م).

أما عن غربة الشاعر أمام الطفل فهي تجد مأوي لها في القصيدة علي نحو ما تجد الوعول والثيران الهابطة الطفل مأوي لها، لكن العلاقة بين الشاعر والطفل لا تزال منظوية علي أبعاد أكثر تنوعاً وغني شأن كل العلاقات التي كتب لها أن تنضج بمرور الزمن ودوام التأمل.

لقد اهتم الشاعر بذكر الأماكن والحديث عنها، لأن الإحساس بذلك الرابط القوي بين الإنسان والمكان هو إحساس إنساني عام يشترك فيه جميع الناس البدائي والمتحضر، كما أن هناك بعض الشواهد علي مخاطبة المكان غير المكان الطفل كانت قد وردت في الشعر الجاهلي، ومنها مخاطبة البيت ومخاطبة الجبال فيلاحظ أن ارتباط الإنسان بالمكان يكون عميقاً إذا كان المكان يعني له ذكريات وأحلاماً، ويبدو أن العلاقات الإنسانية المتداخلة تعطي المكان أهمية خاصة فالمكان الذي يقيم فيه الحبيب يجسد تجسيدا رائعاً للعلاقات الإنسانية من خلال إبراز عنصر المكان، وقد عثرنا في الشعر الجاهلي علي العديد من المقاطع، وقد جاءت أهميتها تثير المشاعر لدي المتلقي من ذكري إنسانية ينقلها إلينا الشاعر بالتدرج لتصبح تجربته الخاصة في المكان تجربة عامة لنا نحن القراء الآن، والمستمعين في حينه.

وقد اتبع الشعراء الجاهليون أساليب شعرية في إبراز صورة المكان من أهمها كثرة الأماكن وتتابعها في البيت الواحد أو الأبيات القليلة، والشاعر وإن عدد الأماكن إلا أنه قصد مكاناً واحداً، وهو يعدد ليقول بأن الجزيرة العربية تخضع بأسرها لظروف متشابهة، كما عني بتحديد

المكان وتأثيره حرصاً منه علي بقاءه في مواجهة الزمن، ولجأ إلي أسلوب الحوار مع المكان ومنااداته وتحيته وذلك لعمق صلته به.

وقد التفت القدماء إلي أهمية المكان في الأدب وما يرتبط به من حنين وحب، فكتبوا كتباً مهمة عن الموضوع: مثل "المنازل والديار" لأسامة ابن منقذ، و"الحنين إلي الأوطان" للجاحظ، و"نسيم الصبا" لابن حبيب الحلبي. وهذا النوع من كتب المكان واتصالها بالأدب لا يزال ملموساً بتاريخيته وجغرافيته ومعجميته، ودراسات بعض المعاصرين وذلك في مقابل منهج الشعرية الذي ينظر إلي المكان في الأدب بوصفه مكاناً أدبياً نفسياً خيالياً، أي بوصفه فضاء شعرياً وليس جغرافياً.

وإذا نظرنا إلي ما كتبه القدماء عن المكان والحنين وصبا نجد فسوف نري أنهم - مثلهم مثل المحدثين - توزعوا في الاهتمام بالموضوع بين البعد الجغرافي عند أصحاب معاجم البلدان وكتب التراجم والتاريخ وحتى التفسير وبعض النقاد وشرح الشعر من ناحية، وبين الوعي بالبعد الشعري في دلالة (المكان) وشعرية (الحنين) ورمزية الأسماء من ناحية أخرى. وقد انتقل هذا البعد من القدماء إلي المحدثين بأنحاء مختلفة، وأضافوا إليه ما حصلوه من معرفة جاءت إليهم عبر المناهج النقدية الأدبية الحديثة، سواء فيما يتصل بالجانب الجغرافي، والبيئي، والتاريخي، أو فيما يتصل بالجانب الفني الرمزي. كما ظهر عنصر النبات في أماكن متعددة، ومن ذلك عند امرئ القيس، فهو يدل علي تمني الشاعر وجود الحياة في المكان، فقد ظهر عنصر النبات في المكان عنده من خلال قوله:

تري بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

كأني غداة البين يوم تحملوا لدي سمرات الحي ناقف

(امرؤ القيس، 1984م.)

فالعنصر النباتي في المكان يتضح من خلال: (حب فلفل)، (السمرات)، (حنظل)، وكلها عناصر نباتية يعكس وجودها في المكان رغبة الشاعر العميقة في إسقاط معني الحياة

علي المكان المقفر، فكأن عنصر النبات في المكان لدي أمرئ القيس هاجس عميق للإحساس بالحياة تتنامي في المكان المقفر الخالي.

وصمت ديار عبلة وعدم تكلمها واستنطاق عنبرة للمكان يعبر عن فقدته لعنصر الحياة في قول عنبرة:

دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحاً دار عبلة

(امرؤ القيس، 1984م.)

وذلك لأن هذه الحجارة تصبح رمزاً من رموز الفناء ومشكلة من مشكلات الوجود التي أقلق الشاعر، وتأتي قيمة أسلوب الخطاب لتبرز مدي إحساس الشاعر بالحياة وما يكتنفها من تغير. فلو قال الشاعر إن ديار عبلة مصابة بالصمم لكان المعني إخبارياً، لكن الشاعر عندما يتحدث عن الديار بهذه اللهجة فإنه يبرز لحظة الانفجار الانفعالي، فالشاعر لا يصف حالة الديار، وإنما يصف انفعاله العميق إزاء الديار التي أصيبت بالموت والخراب كما يقول عنبرة في الأرض التي تقيم بها عبلة، فتلك القطعة من (الأرض) تصبح هنا (صديقة) تعكس صورة لحبيته البعيدة، ولذا فالأرض هنا- كما يريد الشاعر- تبارك حبة، فالأرض والشعب والوادي والبرق والرياح والنسيم والعالم كله يصبح مثالا علي حب الشاعر، فنري اللمعان والصفاء والبريق في كل مكان من هذه الأماكن التي ذكرها الشاعر. وقد تأتى الإشارة إلي الحيوان في الأبيات دلالة علي خلو المكان من الناس، وفي ذلك يقول الأعشي:

ودع هريرة إن الركب * وهل تطيق وداعاً أيها

(الأعشي، 1999م.)

ويشير التبريزي إلي أن الركب لا يستعمل إلا للإبل.

وكذا يظهر المكان في معلقة طرفة بن العبد من خلال إشارته إلي (أماكن) أبرز ما جاء

منها قوله:

لخوله أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر
فروضة دعمي، فأكناف ظللت بما أبكي وأبكي إلي
(الأعشي، 1999م.)

ويتضح المكان عند زهير بن أبي سلمى من خلال معلقته في إشارات الشعيرة إلى
(أماكن) لها علاقة نفسية ووجدانية به، ومن أبرز هذه الأماكن:

أمن أم أوفي دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالمتسلم
ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر
(الأعشي، 1999م.)

وتقتزن مخاطبة الطلل بإيقاظ الأسى واللوعة في نفسية الشاعر، إن ما تحتويه المصادر
من تراث الأدب العربي يدلنا على أن الأدب في إقليم الحجاز كان له الريادة في الشعر والنثر
من حيث الكم والكيف، ويعود ذلك لعدة أسباب من أبرزها مكانة الحجاز التجارية،
واندماج اللهجات العربية في لهجة قريش، واتخاذها لغة التخاطب والخطابة والكتابة والشعر،
وقيام الأسواق الأدبية في حواضر الحجاز، وإصدار وثائق الأمن عن حلف الفضول الذي
عقد في مكة ونزول القرآن على محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم، واتخاذ الحجاز مقراً
لخلافة المسلمين وقيام الأنصار والحضور للدعوة من خطباء وشعراء، وتشجيع الخلفاء على
حفظ الشعر وقرضه وإنشاده، لأنه ديوان العرب، وتوفر عوامل الترف في حواضر الحجاز،
فإذا كانت هذه من أهم الأسباب التي جعلت من الحجاز قبله رواد الأدب بجميع فنونه،
فمن أشهر شعراء الحجاز في العصر الجاهلي، النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وأميرة
بن أبي الصلت.

فمن جماليات الوصف في المكان عنصر التشبيه في قول زهير بن أبي سلمى:
 ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم في نواشر
 فجمالية الصورة التي رسم ظلالها تظهر من خلال تشبيه المكان (الرقمتين) بالوشم
 الظاهر في معصم الفتاة.
 ومن الجزئيات التي كثيراً ما نلاحظها في هذه المقدمات تشبيه الطلل (المكان) بالكتاب
 يقول عبيد بن الأبرص الأسدي:

لمن الدار اقفرت بالجناب	غير نؤي ودمنة كالكتاب
غيرتها الصبا ونفح جنوب	وشمال تذرو دقاق التراب
أوحشت بعد ضمير	من بنات الوجيه أو حلاب

(الأزدي، 1345هـ).

الشاعر في هذه الأبيات يصف الديار بأنها كالكتاب أو الحفير الذي يمنع السيل، لقد
 عملت عليها ريح الصبا وهي تحمل التراب فأصبحت موحشة لا فيها الفرس "وجيه" أو
 الفرس "حلاب"، فالمشاعر لو قدم لنا هذه الأوصاف عبر اللغة، ووصف ما رآه وصفا
 خارجياً، فإن ذلك لا يعني شيئاً للمستمتع، لكن الشاعر هنا بوصفه هذه الديار وتشبيهه
 لها بالكتاب أو بالنؤي حمل هذا المكان صفة رمزية تحمل رغبة الشاعر في استئناس هذا
 المكان ومحاولة التغلب على عنصر الخوف، ويظهر أيضاً ضعف المكان وصفه التحول حين
 يربط هذا التغيير في الرياح، ليمعن في إظهار قوة هدم ودمار المكان، فهذا المكان موحش
 لا تري فيه أثراً للحياة.

ونري صورة أكثر تجسيدا للحظة التحول عند الشاعر ثعلبة بن عمر العبدي حين
 يختار صورة الكاتب المكب على الصحيفة، وهو يتبع قلمه قصداً مبيتاً، يقول:

لمن دمن كأنهن صحائف	قفار خلا منها الكتيب
فما أحدثت فيها العهود	تلعب بالسमान فيها
	يقيم يديه تارة ويخالف

أكب عليها كاتب بدواته ويرفع عينيه عن الصنع
رجا صنعه ما كان يصنع (الأزدي، 1345هـ.)

فيبدأ الشاعر حديثه باستفهام الغرض منه فتح الباب أمامه، ليحدثنا عن هذه الديار، فينقل للمستمع صورة هذه المكان، ثم يتبع ذلك بالتشبيه، ثم ينقل لنا الحركة المتعاقبة لهذا الكاتب: "يقيم يديه تارة ويخالف"، ليزيد بذلك من حركة التحول من خلال حركة هذا الكاتب.

ويقول النابغة الذبياني:

يا دار ميه بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف
وقفت فيها أصيلاً أسائلها عيت جواباً وما للربيع من

(الذبياني، 1999م)

ومما يلاحظ أن الشعراء كانوا يضيفون الديار إلى أسماء محبوباتهم مثل "دار أسماء" و"دار ميه" ... وغير ذلك من الأمثلة، ثم يأخذ بعض الشعراء في أحيان معينة في ذكر ما طرأ علي الديار من خراب وموت وإقفار، ومن هنا يكون نداء الديار مقترباً بما حل بهذه الديار من تدمر، ولذلك يتحول النداء إلى صرخات من الألم والتحرق والحسرة، وهذا يكشف عن معاناة الذات الشاعرية أمام التحول الذي حل بالديار.

وكذلك نري التشخيص في كثير من الأماكن التي ورد ذكرها في الشعر، ويشير الجرجاني إلى عنصر التشخيص فيقول: "... فإنك لتري بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام

الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية". (الذبياني، 1999م).

ويقول الأعشي واصفاً البعد المكاني والمسافة:

أني تذكر ودها وصفاءها سفها وأنت بصورة الأثمد
فشباك باعجة فجني جائر وتحل شاطنه بدار إياد

(الأعشي، 1999م).

وقد استخدم الشعراء صورة الوحشة والخراب للمكان في المقدمة الطللية، فيقول زهير بن أبي سلمى في ديوانه:

قف بالديار التي لم يعفها	بلي وغيرها الأرواح والديم
لا الدار غيرها بعد الأنيس	بالدار لو كلمت ذا حاجة
دار لأسماء بالغمرين ماثلة	كالوحي ليس بها من أهلها

(ابن أبي سلمى، 1964م)

يضعنا الشاعر أمام الديار مباشرة : | قف بالديار " ليرسم لنا صورة تتردد بين الخراب "بلي وغيرها الأرواح والديم"، وبين عدم الخراب " لا الدار غيرها بعد الأنيس"، فالشاعر يستخدم حاسة البصر، ليحقق من خلالها أكبر قدر ممكن من جماليات المكان الموصوف، فعلي الرغم من قفار هذه الديار من أصحابها، إلا أنه يراها لا تزال حية ولم تتغير، ويعمل بعد ذلك علي اختزال هذه الصورة من خلال التشبيه بالبيت الثالث، حيث تتقارب عناصر الصورة في وحدة دالة.

إن مثل هذه اللحظة المكانية التي ارتسمت في قرارة نفس الشاعر، تعتمد علي جملة من العناصر المادية المشاهدة من تغير وتحول أصاب المكان، فهندسة هذه الأبيات تحكمها صفتان هما، ثبات الدار، وخلوها من الأهل... أنها وقفة قد تبدو قصيرة لكنها تملأ النفس شجنا علي من فارق هذه الحياة، فيحاول أن يظهر عنصر البقاء والثبات داخل عنصر الهدم والتحول.

فنلاحظ تعداد الأماكن وهي رموز للبعد المكاني، فالشاعر ليس مساحا جغرافيا يتتبع آثار محبوبته ليسجلها، بل هو عاشق يذكر بعد المسافة وتعدد الأماكن لكي يعبر عن قرب نفسي تجاه المحبوبة.

إن في تعامل الإنسان مع السطح المكاني استشعاراً لمعاني اللذة والألم، والشقاء والسعادة، والخوف والأمن، وذلك تبعاً للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان في أجواء ذلك المكان، وكذلك الشاعر حيث يتعامل مع أسماء الأماكن (الكلمات) فإنما يتعامل معها وهي

مشبعة بالمعاني الوجدانية التي تتجاوز المعاني الانفعالية الأولية، يضاف إلى ذلك نتيجة الخبرة الفردية في ظل المكتسبات التي احتضنتها الكلمة الأولية عبر تاريخ حياتها في الفكر الجماعي. وحضور لامكان في الشعر أعمق من أن يوجد في لفظة أو غيرها، لأن الأساس في التجربة الشعرية منه انطلقت وإليه تؤول دلالات التراكيب المكونة لها، فالمسألة لا تقف عند حدود تصنيف التجارب حسب الأغراض الشعرية، كما لا يقف الأمر عند نقل واقع الأحداث في المكان حتى لا يعدو المكان أن يكون لوحة من لوحات الطبيعة تنتقل بالوصف الشعري الذي يبيّن جمالها، أو لا يعدو أن يكون وعاء يتحضر تجارب الإنسان وأفعاله وبقية من تقلبات الجو والمجموعات فيبكيه إذا حلت به الأحداث الجسام، فالمكان الجميل يحمل تسامي النفس الإنسانية عند الشاعر مثلما يحمل رثاء المكان دلالة الاعتبار إلى جانب معاني الوفاء وغيره من المثل العليا، فللمكان تقسيمات عديدة، ولكن التقسيم الذي يهمنا هو ذلك التقسيم الذي يحدد موقف الإنسان من المكان تبعاً للحالة النفسية التي يعيشها الإنسان في أجواء ذلك المكان، ومن هنا يمكن أن نستعرض كل قسم من أقسام الأماكن باستقراء أبرز عناصره، فالإنسان أما متألف مع المكان محب له، إما من حيث الانتماء، أو الحماية، أو الطمأنينة والصفاء الروحي، فيتميز بالحميمية والقرب من قلب الإنسان، وهذا هو المكان الأليف.

- الخاتمة:

من المعلوم أن للمكان أثراً في ساكنيه، بل إن المكان وبفعل جاذبيته الفيزيائية يشد الإنسان إليه، علاوة على ما يمنحه من بعد نفسي ووجداني لما يفيضه على الإنسان من روح المواطنة والكينونة، ولعل خير دليل على ذلك ما يحيل إليه الجذر اللغوي للمكان إذ يحيل لمادة (ك و ن) التي تدل على الوجود والكينونة، لذا ارتبط المكان بالوجود ومن ثم بالهوية، ويظهر ذلك في أن الفرد يحيط به بداية من جلده الملاصق له إلى الكون الفسيح مروراً بمسكنه ومبناه، ومدينته، وبلدته.

فالفعالية التي تتمتع بها الشخصيات وتمنحها المكان تعد عملاً إنسانياً، بل وبثاً لأنسنة المكان المكان، ولذا فالمكان لم يكن محايداً في أي عمل إبداعي، فظهور الشخصيات وتنامي أحداثها يساعد بشكل قوي علي تشكيل المكان.

ويتضح جلياً مما تقدم أن العلاقة التفاعلية بين المكان وساكنه تجعل المكان واضحاً في تشكيل النص، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي، وكما نلاحظ أن رحابة المكان جغرافياً لا تعني بالضرورة اتساعه في الشعر أو في نفسية شخوصها خاصة.

فالمكان من أهم المظاهر الجمالية، مما يستدعي منا الاهتمام به، وتقصيه، ودراسته، ونحن بحاجة لمزيد من الدراسات للمكان في الشعر الجاهلي ولا سيما المعلقات الشعرية، تأسيساً علي مفهوم جماليات المكان الذي كان واضحاً منذ التراث العربي الجاهلي.

المصادر والمراجع

- Ibn Abī Salma, Zuhayr, Dīwān Zuhayr ibn Abī Sulamī, al-Qāhirah : al-Dār al-Qawmīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1964m
- Ibn al-‘Abd, ṭarfah, Dīwān ṭarfah ibn al-‘Abd, Dimashq : Maṭbū‘āt Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, 1975m.
- Ibn Shaddād, ‘Antarah, Dīwān ‘Antarah ibn Shaddād, Bayrūt : Dār al-Kutub al-Islāmī, 1983m.
- Ibn manzūr, Lisān al-‘Arab
- Abū al-Hayf, D. ‘Abd Allāh, Jamālīyāt al-makān fī al-Naqd al-Adabī al-‘Arabī al-mu‘āṣir, Majallat Jāmi‘at Tishrīn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-‘Ilmīyah, 2005m
- al-Azdī, Abū Bakr Muḥammad ibn Durayd, Jamharat al-lughah, Dār al-Bāz, 1345h
- al-A‘shā, Maymūn ibn Qays, Dīwān al-A‘shā, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1999M
- al-Alūsī, Maḥmūd Shukrī, Bulūgh al-arab fī ma‘rifat aḥwāl al-‘Arab, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- al-Tabrīzī, sharḥ al-Mu‘allaqāt al-‘ashr, Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1985m.
- al-Jubūrī, D. Yaḥyá, al-shi‘r al-Jāhilī khaṣā’iṣuhu wa-funūnuh, Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah, 1994m

- al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir, Asrār al-balāghah, Istānbūl : Maṭba‘at Wizārat al-Ma‘ārif, 1954
- al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad, al-ryfāt, byrwt-Lubnān, Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1403 h-1982m.
- al-Dhubyānī, al-Nābighah, Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1999
- al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍā, Tāj al-‘arūs, Maṭba‘at Ḥukūmat al-Kuwayt, 1394 h-1947m.
- al-Ṣa‘b, ‘Abd al-‘Azīz, al-makān min manẓūr al-shā‘ir wa-tajalliyāt Dhikrayāt al-ḥubb "maqāl", al-Riyāḍ, 2010, 535793 / <http://www.alriyadh.com>
- al-‘Umayrī, Amal, al-makān fī al-shi‘r al-Andalusī fī ‘aṣr mulūk al-ṭawā’if, Jāmi‘at Umm al-Qurā : "al-Sa‘ūdīyah", 2006m
- al-Fayyūmī, D. Sa‘īd, Falsafat al-makān fī al-muqaddimah al-ṭalāliyah fī al-shi‘r al-Jāhilī, Filastīn "Izz" Jāmi‘at al-Quds al-Maftūḥah, 2007m
- al-Qartājannī, Ḥāzim, Minhāj al-bulaghā’ wa-sirāj al-Udabā’, Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī, 1987.
- al-Qayrawānī, Ibn Rashīq, al-‘Umdah fī Maḥāsin al-shi‘r wa-ādābuh, Dimashq : Maṭba‘at al-Kātib al-‘Arabī, 1994m
- al-Mansūrī, Jarīdī Salīm, Shā‘iriyat al-makān, Jiddah : ṭābi‘ Sharikat Dār al-‘Ilm lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, 1992m
- al-Manī‘, Hīlah ‘Abd al-Raḥmān, Ab‘ād al-makān fī Shā‘iriyat al-mar‘ah al-‘Arabīyah al-mu‘āṣirah, al-Riyāḍ, Kulliyat al-Tarbiyah lil-Banāt.
- al-Naṣīr, Yāsīn, Ishkāliyat al-makān fī al-naṣṣ al-Adabī, Baghdād : Dār al-Shu‘ūn al-Thaqāfiyah al-‘Āmmah, 1986
- Imru’ al-Qays, Dīwān amr’ al-Qays, al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif, 1984
- Bāḥshwān, Sulamī bint Muḥammad ibn ‘Abd Allāh, al-makān fī shi‘r Ṭāhir al-Zamakhsharī, al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah : Jāmi‘at al-Malik ‘Abd al-‘Azīz, 2008
- Bāshilār, Ghāstūn, Jamāliyat al-makān, byrwt-Lubnān : al-Mu’assasah al-Jāmi‘iyah lil-Nashr, 2005
- Bū‘azzah, Muḥammad, taḥlīl al-naṣṣ al-sardī (Tiqniyat wa-mafāhīm), al-Jazā’ir : Manshūrāt al-Ikhtilāf al-Jazā’ir.
- Dhākirat al-shi‘r al-Jāhilī, Mawqi‘ al-Alukah, 2015, <http://www.alukah.net>
- Rabābi‘ah, U. D Mūsā, tashkīl al-khiṭāb al-shi‘rī Dirāsāt fī al-shi‘r al-Jāhilī, al-Urdun : Mu’assasat Ḥamādah llrsāt al-Jāmi‘iyah, 2000

- Raḍwān, ‘Abd Allāh, Dirāsāt taṭbīqīyah fī al-shi‘r al-‘Arabī, ‘Ammān : Dār al-Yāzūrī lil-shi‘r 2005
- Shrshh, ‘Iṣām, Jadalīyat al-Zamān wa-al-makān, Dīwān al-‘Arab, 2015, 42479http : www. diwanalarab. com / spip. php? page=article & id _ article
- Ḍayf, D. Shawqī, Tārīkh al-adab al-‘Arabī (al-‘aṣr al-Jāhilī), al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif
- ‘Ābid, Amal Mufarrij, al-makān fī al-shi‘r al-Jāhilī, al-Urdun : Jāmi‘at Mu’tah, 1997
- ‘Abd al-Muslim, Ṭāhir, ‘Abqarīyat al-Ṣūrah wa-al-makān, ‘mān-al-Urdun : Dār al-Shurūq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2002
- ‘Izz al-Dīn, Ḥasan al-Bannā, al-kalimāt wāl’shyā’, Bayrūt : Dār al-Manāhil, 1989
- Marhūn, ‘Aqīl, al-ru’yah al-fannīyah wa-dalālat al-makān fī al-shi‘r al-‘Arabī, al-‘Irāq : Jarīdat al-Ṣabāḥ, 2013http : / / www. alsabaah. iq / default. aspx
- Mnṣwryh, ibn ‘Imārah, al-makān fī al-shi‘r al-Maghribī al-qadīm "Risālat", Tilimsān Jāmi‘at Abī Bakr Balqāyid